ست ساعات (الجزء الأول)

متى ٢٧: ٣٣-٤٤؛ مرقس ١٥: ٢٢-٣٢؛
لوقا ٢٣: ٣٣-٤٣؛ يوحنا ١٩: ١٧-٢٧

«وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى «جُمْجُمَةَ» صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبَيْنِ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ» (لوقا ٢٣: ٣٣).

بقلم: هيغو مكورد

ست ساعات! خلاص ... حياة ... رجاء ... سماء! قضى يسوع على الصليب ست ساعات (مرقس ١٥: ٢٥-٣٧). من الساعة الثالثة إلى الساعة التاسعة (بتوقيت اليهود) تعادلها الساعة ٩ صباحاً إلى الساعة ٣ بعد الظهر. يمكن تقسيم هذه الساعات الست بالتساوي. لقد قسمها الله. أرسل الله ظلام حالك من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة (متى ٢٧: ٤٥؛ مرقس ١٥: ٣٣؛ لوقا ٢٣: ٤٤). مات يسوع في الساعة التاسعة {بتوقيت اليهود}.

موت المسيح هو أشهر موت في التاريخ. كان ذلك كل ما لدى المسيحية أو ما يريدها أو ما يحتاج إليها. كتب بولس قائلاً: «لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا» (١ كورنثوس ٢: ٢). هذا هو لب كل ما كان يعرفه بولس، ولب كل ما كرز به (١ كورنثوس ١: ١٧-٢٥).

تفاصيل لم يتم توضيحها

لا نعرف الكثير! والتفاصيل قليلة. كان يوحنا هو الرسول الوحيد الذي شاهد عملية الصلب. لخص لوقا (المؤرخ) قصة الصليب في جملة واحدة قصيرة في آية واحدة: «صَلَبُوهُ هُنَاكَ» (لوقا ٢٣: ٣٣). نعرف أكثر عن دفنه مما نعرف عن صلبه. لدينا من الأسئلة أكثر مما هو لدينا من الأجوبة.

لا نعرف شكل الصليب الذي علق عليه المسيح. لا يمكن أن يكون الصليب على شكل (X). هناك أيضاً الصليب التائي، أي الذي على شكل (T). بما أن بيلاطس أمر بوضع لافتة فوق رأس يسوع، فلا يكون هذا الشكل محتملا. هناك أيضاً الصليب اللاتيني الذي هو على شكل علامة الزائد (+)، يحتمل أن هذا هو الذي أستخدم لصلب المسيح. كان ذلك هو الصليب الجامعي المقبول على نطاق واسع والمستخدم في أعمال الفن وفي الجواهر والمعمار. تسمى علامة زائد بـ«علامة/إشارة صليب».

كتب بيلاطس لافتة ووضعها فوق رأس يسوع على الصليب (متى ٢٧: ٣٧؛ مرقس ١٥: ٢٦؛ لوقا ٢٣: ٣٨؛ يوحنا ١٩: ١٩). تختلف كل رواية عن الأخرى، ولكنها جميعاً تحكي الشيء نفسه. لم يهتم كتاب الأناجيل بإستخدام الكلمات نفسها، بل كانوا يهتمون بالرسالة المعطاة بواسطتهم.

كيف سُمِرَ يسوع على الصليب؟ لا نعرف بالضبط. ولكننا نعرف اليوم الذي قام فيه يسوع من الأموات: أول يوم في الأسبوع، أي يوم الأحد (متى ٢٨: ١-٧؛ مرقس ١٦: ٢-٩؛ لوقا ٢٤: ١-٧؛ يوحنا ٢٠: ١-١٠). ليس هناك جدل في هذا. كانت الكنيسة المبكرة تجتمع في هذا اليوم نفسه من الأسبوع (أعمال ٢٠: ٧؛ ١ كورنثوس ١٦: ٢).

ولكن لم تحدد الأسفار المقدسة اليوم الذي تم فيه الصلب بصفة خاصة. لكي نعرف ذلك اليوم، يجب أن نحسب رجوعاً إلى الماضي. تشير الأناجيل[1] عشرة مرات إلى أن يسوع قام من الأموات «في اليوم الثالث»[2]. مع أن التوقيت قابل للنقاش، إلا أن الكتاب المقدس يوضح بجلاء أن اليوم الذي صلب فيه المسيح كان يوم الاستعداد، أي ما قبل السبت (مرقس ١٥: ٤٢؛ لوقا ٢٣: ٥٠-٥٦؛ يوحنا ١٩: ٣١).

نعرف الفترة التي قضاها يسوع على الصليب: ست ساعات. هذه الساعات هي محور الزمان.

الساعات الست الأولى

أُعْطِيَ ليسوع في الحال «خَلاًّ مَمْزُوجًا بِمَرَارَةٍ» (متى ٢٧: ٣٤). يا للعجب، لم يشربه، لم يقبل يسوع أن يشرب مهديء للألم. لم يقبل مخدِّراً. انه سيحتفظ بجميع حواسه على الصليب. لا يخدر الألم على حساب قدرته العقلية. لم تكن الآلام والمعاناة مسائل عند الصليب. كان يسوع الشخص الوحيد عند الصليب الذي يعرف ما كان يحدث.

حالما رفعوه على الصليب بدأ الناس يطلبون منه أن ينزل عنه (متى ٢٧: ٣٩-٤٣؛ مرقس ١٥: ٢٩-٣٢؛ لوقا ٢٣: ٣٥-٣٧). انضم اللصان أيضاً إلى الذي كانوا يشتمونه (متى ٢٧: ٤٤؛ مرقس ١٥: ٣٢؛ لوقا ٢٣: ٣٩). يا لهذا الاستخفاف الساخر! يوضح هذا مدى إلتواء الكُفر والاجحاد. كيف يتجاسر الإنسان أن يقول لله الشرط الذي يؤمن به! لو كان يسوع قد نزل عن الصليب لكان الخطاه مدانين وبلا رجاء. وُلِدَ يسوع لكي يموت. وقد مات لكي نُولَد ونحيا (رومية ٥: ١٠). مع أن الله بار وقدوس كما هو، إلا انه لا يغفر لأحد دون أن يعاقب الخطيئة. في الجمجمة حمل يسوع عقوبة خطايانا.

حتى الخطايا المغفورة لها عواقب. طلب يسوع من الله في صلاته الأولى على الصليب أن لا يقيم خطايا معذبيه؛ كانت خطيئتهم أكبر الخطايا! لقد دمر الله أورشليم. جاءت الديانة اليهودية لسبب واحد - وهو مجيء المسيا. جاء يسوع متمماً جميع النبوءات. ولكن اليهود صلبوه! ولكن هذا وضعهم خارج «العمل المسياني» {أي العمل الذي جاء المسيا لإنجازه}. لم يقبلوا الله ملكاً لهم وقبلوا قيصر (يوحنا ١٩: ١٤ و١٥). سقطوا أكثر إذ وضعوا دم يسوع عليهم ووضعوا خطاياهم على أولادهم (متى ٢٧: ٢٥).

عندما تكلم يسوع ثانية، وجه كلامه لأحد اللصين اللذين كانا بجانبه. بما أن يسوع كان يموت من أجل خطايا البشر، كان من المناسب أن يغفر للخاطيء. أدرس الحوار الوارد في إنجيل لوقا ٢٣: ٣٩-٤٣. وجد اللص الديانة الحقة إثناء اعدامه. يا للعجب! تعال إلى الصليب وأبقى عند الصليب. لقد خلص الصليب اللص، وهو يخلصنا أيضاً. نحن لا نخلص بالأفكار ولا بالفلسفات ولا بالنظريات التأملية ولا بالجهل، بل يسوع وحده هو الذي يخلصنا.

بالرغم من أن يسوع كان في ألام الموت، إلا انه لم يهمل الاعتناء بأمه مريم. فقد أوصى يوحنا بان يعتني بها كما لو كانت أمه (يوحنا ١٩: ٢٦ و٢٧). يعتقد الكثيرون أن يوحنا أخذها إلى بيته وبقيت عنده إلى وقت مماتها. قف وفكر للحظة. سيكتب اثنين من أبناءها في وقت لاحق سفرين من أسفار العهد الجديد (يعقوب ويهوذا). كانت مريم وبعض من أولادها في مكان الصلاة في العلَية في أورشليم بعد قيامة يسوع من الأموات بقليل (أعمال ١: ١٣ و١٤). من الواضح انهم كانوا سيهتمون باحتياجات أمهم المستقبلية. أرادت مريم العون عند الصليب، عندما كانت تقف عند الصليب، وفي وقت الصليب! كان ذلك اليوم أصعب أيامها وأطول لياليها. قال يسوع «كن مع أمي!»

ما حدث في الجلجثة كان شيء شنيع إلى أبعد حد. الصلب أشنع مما قد تصوره السينما. لقد عمل الله ما لا يعمله إلا الآب المملوء محبة. لقد سمح بأن يحمل ابنه الدينونة الإلهية للخطيئة؛ لقد أزاح بوجهه عن ابنه.

الصليب ... ليس هناك طريق آخر سواه!

[1] الأناجيل: هي الأسفار الأربعة الأولى من كتاب العهد الجديد: إنجيل متى وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا. تخبرنا هذه الأسفار بقصة حياة يسوع المسيح وخدمته التبشيرية وموته وقيامته.

[2] راجع متى ١٦: ٢١؛ ١٧: ٢٣؛ ٢٠: ١٩؛ ٢٧: ٦٣؛ مرقس ٩: ٣١؛ ١٠: ٣٤؛ لوقا ٩: ٢٢؛ ١٣: ٣٢؛ ١٨: ٣٣؛ ٢٤: ٧.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩